جهود المستشرقين الألمان في البحث اللغويّ العربيّ

The Efforts of German Orientalists in Arabic Linguistic Research

نرجس عمر بخوش*

DOI: 10.15849/ZJJHSS.211130.08

الملخص

أدَّت المدرسة الاستشراقيَّة الألمانيَّة دوراً مهمّاً في مدّ جسور التواصل الحضاريّ بين العالم الإسلاميّ وأوربا، وقدَّمت مساهماتٍ كثيرةً في مجال الدراسات اُللغويَّة، وقد كان لهذه المدرسة فضل السَّبق في نشر كثيرٍ من المخطوطات وتحقيقها، وطباعة كتب التراث اللغويّة، وترجمة القرآن الكريم، وتسعى هذه الورقة البحثيَّة إلى كشف قدرة المستشرقين الألمان على التعامل مع التراث العربيّ من خلال جهودهم في شتّى ميادين البحث اللغويّ العربيّ، في محاولةٍ لتقصي أهمّ الأعلام الذين برعوا في الكتابات العربية، سواء ما تعلق بالتأريخ للأدب العربيّ أو بالمعاجم أو بتحقيق المخطوطات، وتقصّي أعمالهم التي خدمت اللغة العربيّة، وممن برزوا في هذا المجال وبرعوا فيه: رايسكه، نولدكه، بروكلمان، فيشر.

الكلمات المفتاحية: الاستشراق الألماني، البحث اللغوي، رايسكه، نولدكه، بروكلمان، فيشر.

Abstract

The German Oriental School played an important role in building bridges of civilizational communication between the Islamic world and Europe, and made many contributions in the field of linguistic studies. It had original contributions in publishing an awful lot of manuscripts, printing linguistic Arabic heritage and translating the Holy Qur'an. The present research paper seeks to reveal the ability of German orientalists to deal with the Arab heritage, through their efforts in various fields of Arabic linguistic research, in an attempt to investigate the most important figures who excelled in Arabic writings, whether related to the history of Arabic literature, dictionaries, or the investigation of manuscripts, and their works that served the Arabic language. Among those who excelled in this field are Raiske, Nöldeke, Brockelmann, Fischer.

Key Words: German Orientalism, Linguistic Research, Riiske, Nöldeke, Brockelmann, Fischer.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، الجزائر، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، الجزائر. **تاريخ استلام البحث 2021/10/24، تاريخ قبوله 2021/11/14.**

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

المقدمة

أولى المستشرقون الألمان اللُّغة العربيَّة اهتماماً كبيراً، وذلك من خلال التصنيف، والكتابة، وترجمة كتبها، وتحقيق نصوصها، ونشرها منذ وقتٍ مبكّرٍ، لكونها المنطلق الأساس لفهم عقليَّة المسلمين، وقد برع في ذلك الاستشراق الألماني الذي نبعت نظرته الإيجابيَّة تجاه التراث الإسلامي، على حدِّ قول أغلب الدارسين؛ ما أعانهم على التقرُّب من العرب المسلمين ومن تراثهم، ويتفرَّد الاستشراق الألماني حسب قولهم بميزاتٍ قد لا تتوفر لدى الاستشراق في البلدان الغربيَّة، فهم على الأغلب لم تسيطر عليهم مآرب سياسيَّة، ولم تستمر معهم أهداف التبشير طوال مسيرتهم في دراسة الشرق، ولم يتَّسموا بروحٍ عدائيَّةٍ ضد الإسلام والحضارة الإسلاميَّة العربيَّة؛ بل اتَّسموا بحماسهم وحبِّهم للُّغة العربيَّة، وقد لمع عددٌ من المستشرقين الألمان في الدراسات اللُّغويَّة العربيَّة ممَّن كان لهم شغف التنقيب عن هذا التراث سواء بعينٍ منصفةٍ أو جاحدةٍ.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في الكشف عن تلفيقات رواد هذه المدرسة التي اتَّسمت بزيف التراث اللغوي العربي وتحريفه كثيراً، رغم ما عُرف عنها من موضوعيةٍ وأمانةٍ وضبطٍ وإنصافٍ في نشر التراث العربي، فالمتمعن في كتابات روّادها لا يجد ما وصفوا به من إنصافٍ إلاَّ في القليل النادر، ومن ثم فالدراسة تسعى للكشف عن قدرة المستشرقين الألمان في التعامل مع التراث العربي، من خلال جهودهم في شتّى ميادين البحث اللغوي العربي، في محاولةٍ لتقصي أهم الأعلام الذين برعوا في الكتابات العربية، سواء ما تعلق بتأريخ الأدب العربي أو بمعاجمه أو بتحقيق مخطوطاته، وتقصّي أعمالهم التي خدمت اللغة العربية، وسأقتصر على أربعة أسماء عرفت في هذا المجال وبرعت فيه، هم: رايسكه Reiske، نولدكه Noldeke، بروكلمان Brockelmann، فيشر FISCHER، وقد وقع اختياري على هذه الفئة لما لهم من ارتباطٍ وثيقٍ بالكتابة في علوم العربية، ولم أترك المجال مفتوحاً في الحديث عن إنجازات هذه الثُّلَّة التي اخترتها؛ وإنَّما حدَّدت مجال الدراسة باختيار كتابٍ واحدٍ لكل مستشرقٍ وقدَّمت إضاءة حوله. وقد اعتمدت على المنهج الوصفي مع الاستعانة بالمنهج التاريخي، مستندة على التحليل والتركيب والنقد كآليتين إجرائيتين، وعلى هذا الأساس فإنَّ هذه الدراسة ستسعى للإجابة عن الإشكالية الأساسية القائمة على من هم أهم رواد المدرسة الاستشراقية الألمانية الذين لمعوا في الدراسات اللغوية العربية؟ وكيف تعاملوا مع التراث اللغوي العربي؟ هل تميزت دراساتهم عن باقي المدارس الاستشراقية؟ أم أنَّهم داروا في الفلك ذاته والغرض ذاته؟ وهناك تساؤلات فرعية نجيب عنها من خلال البحث تمثلت في الآتي: ما معنى الاستشراق؟ كيف بدأ الاستشراق الألماني، وما أهم المحطات التي مر بها؟ وما العلوم اللغوية التي ركزوا عليها وبرعوا فيها؟ خاضت في هذا البحث دراساتٌ سابقةٌ كثيرةٌ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: هويدي، أحمد محمود، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه، وتوجهاته المستقبلية، يوهان فك Johann Fück ، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، جهود المستشرقين الألمان في المعجم العربي، جونج كيولي، رسالة ماجستير الجامعة الأردنية، 1966م، البحث اللغوي في دراسات المستشرقين الألمان "العربية أنموذجا" عبد المحسن الجمل الزويني،

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

2010م، من جهود المستشرقين الألمان في المعجم العربي: كتاب العين والصناعة المعجمية العربية لشتيفان فيلد نموذجاً، محمد عوني عبد الرؤوف، مجلة الألسن للترجمة، عدد 13 يناير 2018م، مساهمة المستشرقين الألمان في دراسة المخطوطات باللغة العربية وضبطها ونشرها وتأليفهم المساند بهذه اللغة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، فؤاد حمد فرسوني، مجلة جامعة الملك سعود، مجلد 20، عدد 1، 2008م. ما يميز هذه الدراسة عن سابقاتها اشتمالها على نماذج عالجت فيه مستويات الدرس اللغوي العربي على اختلاف أنواعه، منها ما هو تاريخي، ومنها ما هو معجمي...، ومن أجل الإجابة عن تلك الأسئلة وغيرها، فقد اعتمدت على خطة تقوم على ثلاثة مباحث، وهي:

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق

المطلب الأول: المفهوم اللغوي

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي

المبحث الثاني: نظرة تاريخية للاستشراق الألماني

المبحث الثالث: الأعمال الاستشراقية الألمانية التي برزت في علوم العربية

المطلب الأول: رايسكه وتحقيق المخطوطات

المطلب الثاني: في سبيل فهم الشعر الجاهلي لنولدكه

المطلب الثالث: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

المطلب الرابع: المعجم اللغوي التاريخي لفيشر

وخاتمة تشتمل على أهم النتائج المتوصَّل إليها

المبحث الأول: مفهوم الاستشراق

المطلب الأول: المفهوم اللغوي

صيغت لفظة "استشراق" على وزن استفعال، ومعناها طلب الشرق، وليس طلب الشرق سوى طلب علوم الشرق وآدابه ولغاته وأديانه، جاء في لسان العرب[1]: شرق: "شرقت الشمس تشرق شروقًا وشرقاً: طلعت، واسم الموضع:

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، (ت 711هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، 173/10.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

المشرق... والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق، يقال: شتّان بين مشرّق ومغرّب، وشرَّقوا ذهبوا إلى الشرق، وكل ما طلع من المشرق فقد شرق، وفي الحديث: " لاَ تَسْتَقْبِلُوا الْقِبْلَةَ وَلَا تَسْتَدْبِرُوهَا وَلَكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا" [1] .

واللفظ ORIENT في الدراسات الأوروبية يشير إلى منطقة الشرق المقصودة بالدراسات الشرقية بكلمة "تتميز بطابع معنوي وهو Morgenland :وتعني بلاد الصباح، ومعروف أن الصباح تشرق فيه الشمس، وتدل هذه الكلمة على تحول من المدلول الجغرافي الفلكي إلى التركيز على معنى الصباح الذي يتضمن معنى النور واليقظة، وفي مقابل ذلك نستخدم في اللغة كلمة Abendland وتعني بلاد المساء لتدل على الظلام والراحة" [2] .

وفي اللاتينية تعني كلمة (Orient): يتعلم أو يبحث عن شيء ما، وبالفرنسية تعني كلمة Orienter وجّه أو هدى أو أرشد، وبالإنجليزية Orientation و orientate تعني "توجيه الحواس نحو اتجاه أو علاقة ما في مجال الأخلاق أو الاجتماع أو الفكر أو الأدب، نحو اهتمامات شخصية في المجال الفكري أو الروحي[3]. وبذلك يتبين أنَّ مصطلح الاستشراق في هذه اللغات يختلف عن المدلول اللغويّ العربيّ.

المطلب الثاني: المفهوم الاصطلاحي

إنَّ مفهوم الاستشراق (orientalism) يعني: "علم الشرق أو علم العالم الشرقي"[4]، ويعرَّف أيضاً بأنَّه: "ذلك التيار الفكري الذي تمثل في الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه وآدابه ولغاته وثقافته"[5]. وأحياناً يقصد به: "ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب"[6] .

ويرى الطيب بن إبراهيم أنَّ الاستشراق لا يعدَّ تاريخياً أو جغرافياً فقط، ولا إنسانياً أو ثقافياً فحسب، وإنَّما هو مجموع ذلك كله، فهو مكانٌ وزمانٌ وإنسانٌ وثقافةٌ. والحديث عن الاستشراق مرتبطٌ ارتباطاً عضوياً وتكاملياً مع هذه العناصر الأربعة الأساسية، إذ لا بدَّ له من مسافةٍ زمنيةٍ ومساحةٍ مكانيةٍ ونوعٍ إنسانيٍّ وإنتاجٍ ثقافيٍّ وفكريٍّ[7]. ويرى الطيب أنَّ الشرق الذي اهتم الغرب بدراسته والتخصُّص في ثقافته وتراثه، ليس هو الشرق الجغرافي الطبيعي، وإنَّما هو "الشرق الهوية"، فهدف الاستشراق هو معرفة "الشرق الهوية والتاريخ" المتمثل في الإسلام والمسلمين.

ومع أنَّ مصطلح الاستشراق ظهر في الغرب منذ قرنين من الزمان على تفاوتٍ بسيطٍ في المعاجم الأوروبية المتنوعة، لكنَّ الأمر المتيقن أنَّ البحث في لغات الشرق وأديانه، وبخاصة الإسلام؛ قد ظهر قبل ذلك بكثير، ولعل كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح استشراق، فنجد آربري Arberry في بحثٍ له في هذا الموضوع يقول "والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638 وفي سنة 1691 وصف آنتوني وود Anthony Wood صمويل

---

[1] رواه البخاري في صحيحه، برقم494، ومسلم في صحيحه، برقم 264.

[2] مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1995، ص3.

[3] المرجع نفسه، ص 3.

[4] محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1997، ص 18.

[5] عبدالله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، ط1، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997، ص16.

[6] سالم ساسي الحاج ، نقد الخطاب الاستشراقي، ط1، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، 20/1.

[7] بن إبراهيم، الطيب، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، ط1، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص20.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه)، يعنى ذلك أنَّه عرف بعض اللغات الشرقية. وبيرون في تعليقاته على (Childe Harold's Pilgrimage) يتحدَّث عن المستر ثورنتون وإلماعاته الكثيرة الدالة على استشراقٍ عميقٍ[1].

أمَّا المفكر إدوارد سعيد فيعرف الاستشراق بأنَّه:" نمطٌ من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه"[2]. أمَّا المستشرق فهو: "عالمٌ متمكنٌ من المعارف الخاصة بالشرق ولغاته وآدابه[3]، لكنَّ الواقع يثبت أنَّه ليس كل مستشرق متمكن من المعارف الخاصة بالشرق لا في لغاتها ولا في آدابها، ولكن كل واحد وحظه من التحصيل، وكذا هدفه من هذا التحصيل.

المبحث الثاني: نظرة تاريخية للاستشراق الألماني

تنوَّعت المدارس الاستشراقية الغربية وفق أقطارها وأهدافها، ومنها **المدرسة الألمانية** التي تركت آثاراً علميةً مهمَّةً يحتاجها الباحث العربي والمسلم والغربي على حدٍّ سواء في مجال الدراسات الشرقية والإسلامية، ولقد شهد العالَمان الإسلامي والغربي بقدرة الاستشراق الألماني الموضوعية والعلمية؛ معتبرين إياهم الأكثر نزاهةً في التوجه العلمي، والجديَّةٍ في فهم التراث الإسلامي وتاريخه. وقد ذهب الدارسون إلى أنَّ المدرسة الاستشراقية الألمانية امتازت منذ القرن الثامن عشر في ظل رائدها **يوهان جاكوب رايسكه Johann Jacob Reiske** (1716–1774م)، بميزاتٍ لم تتوفر في باقي المدارس الاستشراقية الغربية الأخرى، من تلك الميزات نذكر:

- أنَّها لم تكن نتيجة لأهداف سياسية واستعمارية، ولم تكن وثيقة الصلة بالأهداف الدينية التبشيرية، كدول أخرى، مثل فرنسا وإنكلترا وإيطاليا، بل على العكس، فكان الألمان على علاقة طيبة بالدولة العثمانية، فقد تحالفوا معها في الحرب العالمية الأولى.
- غلبة الروح العلمية وتقصي الحقائق على الدراسات الشرقية في ألمانيا، فهي تمتاز بالعمق والشمولية.
- ما يبرزها عن غيرها من المدارس الاستشراقية الأخرى هو الاهتمام بالقديم والتركيز على دراسة التراث العربي وخدمة التراث.
- اعتماد الاستشراق الألماني على مناهج التحليل اللغوي الفيلولوجي، وعقلانية التفسير والتأويل إلى جعل خطابه أقل تطرفاً مقارنةً بخطاباتٍ استشراقيةٍ أخرى، وخصوصاً فيما يتعلق بقضايا التراث والفكر العربي الإسلامي[1] .

وتعود الجذور الأولى لاتصال ألمانيا بالشرق وبالعرب والمسلمين إلى أيام الحملة الصليبية الثانية (542–544هـ/ 1147–1149م)، فقد كان الألمان حينها من المشاركين في الحجّ إلى الأراضي المقدَّسة؛ حيث قدَّموا وصفاً

---

[1] ج، آربري، المستشرقون البريطانيون. تعريب: محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946، ص8.

[2] سعيد، إدوارد، الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، ط7، مؤسسة الأبحاث العربية، 2005، ص 120.

[3] يحيى مراد، أسماء، المستشرقين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004، ص6.

[1] رسول، محمد رسول، الغرب والإسلام قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنقد، بيروت، 2001، ص58.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

لتلك البلاد، ونقلوا شـــيئاً من حضـــارتها بعد عودتهم إلى الديار، كما شـــاركوا الرُّهبان في الترجمة عن العربية في الأندلس[2]. وفي القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي انعقدت النية على إنشاء كراسي لدراسة اللغات الشرقية في ألمانيا، وفي القرن الســادس عشــر بدأ الاهتمام باللغات الشــرقية مرتبطاً بعلم اللاهوت. وكانت اللغة العبرية هي أساس هذه الدراسات ثم ما لبثت اللغة العربية والإسلام أن لقيا الاهتمام[3]. وفي القرن السابع عشر برزت شخصياتٌ اســتشــراقيةٌ، مثل الراهب الألماني جرمانوس الذي وضــع معجماً عربياً إيطالياً، وعمل اللاهوتي الإصــلاحي جوهان هوتنغر فهرساً للمخطوطات الشرقية نشره سنة 1658م، في هايدلبرغ، ودشِّنت أوَّل طبعة للقرآن الكريم بحروف عربية، كان القائم على تلك الترجمة أبرهام هنكلمان، طبعها ســنة 1694م[4]. وبحلول القرن الثامن عشــر الميلادي تعلم فئة من المستشرقين الألمان اللغات الشرقية في هولندا، ولما رجعوا إلى ألمانيا علّموها في جامعاتها، وأخرجوها من نطاق التوراة الذي ضـرب حولها ردحاً من الزمن إلى ميدان الثقافة العامة، وعندها اتصـلت ألمانيا بالشـرق اتصـال سـياسـةٍ وتجارةٍ، أنشأت مدرسة للغات الشرقية في برلين سنة 1878م على غرار المدرسة الفرنسية والنمساوية[5]. وممَّن برز في هذا القرن جوهان ميخائيليس J.D.Michaelis (1707–1791) وهو لاهوتي ذو نزعةٍ عقليةٍ في فهم الدين والنظر إلى الكتاب المقدس، ومعرفته بالفيلولوجيا الســريالية والعربية، ويعد رايســكه أنموذجاً بارزاً في هذا القرن[6]. أمّا في القرن التاسع عشر فقد حفل الاستشراق الألماني بالتنوع والتقدم في دراساته الشرقية، فمن دراسة اللغات إلى جمع النصوص وتحقيقها، ثم دراسة جغرافيا البلدان الشرقية، والاهتمام بتاريخها وواقعها السياسي والاجتماعي ودور الأديان فيها، والتركيز على التراث العربيالقديم، فضلاً عن استحداث المزيد من كراسي اللغات الشرقية في الجامعات الألمانية، وقد نشـــطت أعمال الفهارس بشـــكلٍ واضـــحٍ في هذا القرن بســـبب كثرة المكتبات وتنوُّع عناوينها، وقد كان لظهور نولدكه Noldeke وبروكلمان Brochelmann في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي دورٌ في نقل مستوى الدراسات الشـــرقية إلى مرحلةٍ مهمَّةٍ بما تركاه من أعمالٍ بقيت معتمدةً إلى يومنا هذا[1]. وفي القرن العشـــرين الميلادي كان للدراسات الاستشراقية الألمانية نصيبٌ من التخصُّص والمعاصرة بالنظر إلى طبيعة الموضوعات التي تناولتها قياساً بالقرون الماضـــية، ومن أعلام هذا القرن هلموت ريتر Hellmut Ritter الذي يُعدُّ من كبار المســـتعربين الألمان، وجوليوس روسكا Julius Ruska ، وإينو لتمان الذي برع في الدراسات الحبشية[2].

---

[2] العقيقي، نجيب، المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، ط5، دار المعارف، القاهرة، 2006، 340/2.

[3] الشاذلي، عبد الله يوسف، الاستشراق مفاهيم صلات جهود، ط1، د.ن، د.ت، ص435.

[4] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص438.

[5] العقيقي، نجيب، المستشرقون، 341/2.

[6] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص580.

[1] الطناحي، محمد محمود، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1984، ص260.

[2] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص289.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ويرى بعض الدارسين أنَّ الاستشراق في ألمانيا بقي محافظاً على مستوى لائقٍ من الموضوعية، ويدل على ذلك ما أبداه مستشرقون ألمان من أمثال فرتز شبات Fritz Shabat وجوزيف فان اس Josef van Ess ويوهاننسن Johanesen من الارتياح إلى إهمال هتلر والنظام النازي لهم، وعدم استعمالهم في حروبه، وهو ممَّا يؤكد حيادية المستشرقين الألمان في اختيار الموضوعات التي يدرسونها[3]. وهذا القول غير مسلّم به على إطلاقه، فالاستشراق بمدارسه كافة لم يسلم من الأغراض التشويهية للدين الإسلامي وتراثه، وكذا الأطماع السياسية والأغراض الاستعمارية للأرض العربية، والمدرسة الألمانية مثل غيرها من المدارس الاستشراقية الأخرى، فإن كان هناك منصفون، إلا أن الأغلبية غير ذلك، والاختلاف يكمن في طريقة المقاربة فحسب. ولا يخفى أنَّ الاستشراق الألماني الحديث يهتم بنزع الصفة الإلهية عن القرآن الكريم بواسطة المنهج التاريخي كما يسمّونه اليوم.

المبحث الثالث: الأعمال الاستشراقية الألمانية التي برزت في علوم العربية

تألقت المدرسة الألمانية في العلوم العربية وغيرها على أيدي عدد من المستشرقين، برز منهم في التأليف والتصنيف والأبحاث والتحقيق، حيث أخذت اللغة العربية جُلَّ اهتمامهم، فكان التفاوت والتباين ملحوظاً في إنتاجهم كمًّا وكيفاً، وسأقتصر على تسليط الضوء على بعض الشخصيات الاستشراقية اللامعة التي كانت لها اليد الطولى في دراسة التراث العربي، من خلال ما عُرفوا به من غزارة الإنتاج وسعة الاطلاع، وتنوُّع التأليف.

المطلب الأول: رايسكه وتحقيق المخطوطات

يعد المستشرق الألماني **رايسكه** من دعاة دراسة العربية بصورة مستقلة، عمَّا كان سائداً في عصره، بربطها آنذاك باللاهوت المسيحي؛ فكان من أكثر المهتمين بتحقيق التراث العربي المخطوط، وفيما يأتي تفصيل ذلك:

1/ كلمة عن المستشرق رايسكه

يعدُّ **يوهان جاكوب رايسكه** (Johann Jakob Reiske) من أوائل المستشرقين الألمان. ولد عام 1716 في مدينة في اتسوربك (Zorbig) بنواحي هلّه (Halle) ، في أسرةٍ فقيرةٍ، توفي والداه في صغره فأُودِع ملجأً للأيتام ناحية هلَّه[1]. وأتقن اليونانية واللاتينية في المدارس الابتدائية والثانوية. ابتدأ دراسته الجامعية في ليبزيج (Leipzig)، سنة 1733، بعد نيْله لمنحتين لاستكمال دراسته من المجلس البلدي لهذه المدينة. وهي المرحلة التي أتقن فيها النحو العربي، وساعده المستشرق الهولاندي **ألبير سولتنز اسخولتنز** (Albert Schultens) (1686–1750) على الدخول إلى مكتبة ليدن، ففهرس مخطوطاتها. وفي عام 1735 بدأ في قراءة كتاب (عجائب المقدور في وقائع تيمور) لابن عريشاه، وهو مسجوع كله، فكانت قراءته صعبةً جداً على رايسكه، ولم تمر هذه السنة حتىَّ قوي

---

[3] السيد، رضوان، المستشرقون الألمان، مجلة الفكر العربي، العدد 31، ص35.

[1] هاله: مدينة في ألمانيا، أكبر مدن ولاية زاكسن–أنهالت الألمانية، وتسمى باسم "هاله على نهر زاله" لتمييزها عن المدينة الواقعة في ولاية شمال الراين وستفاليا التي تحمل الاسم نفسه.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

على السجع، وقد أكبَّ على مطالعة الكتب العربية إلى سنة 1736. وفي سنة 1747 رجع إلى ليبزيج؛ منصرفاً إلى الدراسات العربيّة، توفي في 1774 مخلفاً عطاءً علمياً لا يستهان به[2].

2/ شغف رايسكه بالمخطوطات العربية وصراعاته مع علماء عصره

بعد اطلاع **رايسكه** على الكتب العربية المطبوعة التي استطاع الوصول إليها حتى عام 1736، عُدَّ هذا العام هو البداية الفعلية لانكبابه على البحث في المخطوطات العربية، حيث عثر في بدايات مشواره البحثي على مخطوط رسالة هرمس في معادلة (النفس)، وكان ذلك في مكتبة لبستيك، فقام بترجمته إلى اللاتينية، قيل عنه "أنَّه لا يكاد يوجد شاباً في العشرين من عمره تزوَّد بأفضل تعليم وبأنجح الأدوات، يمكنه أن يقوم بترجمة أفضل من هذه"[3]. وكان كلَّما توغل في دراسة الكتب العربية زاد شغفه بها، ولإرضاء ولوعه بالعربية رحل إلى هولندا عام 1738؛ ليطلع على مكتبة جامعة ليدن (Leiden)، وكانت أشهر الجامعات آنذاك؛ إذ كانت تحوي أضخم مجموعة من المخطوطات والمراجع العربيّة، ويوم زار ليدن أُبلغ أنه لا توجد منح دراسية للطلاب الأجانب، ولم يُسمح له بالتردد على المكتبة إلاَّ مقابل مبلغ من المال، يستطيع دفعه. وعن طريق **اسخولتنز Schultens** استطاع أخيراً أن يطلع على مخطوطات مكتبة ليدن، وأن يتَّجه إلى العناية بالشعر العربي، فاتجهت عنايته إلى نسخ النصوص الشعرية القديمة عامة، وإلى المعلقات خاصة[4].

وقد عُهد إليه ترتيب المخطوطات في مكتبة جامعة ليدن؛ فنسخ كتاب (المعارف) لابن قتيبة، تاريخ أبي الفدا، أو(البلدان) لأبي الفدا، وتاريخ حمزة الأصفهاني، ومقتطفات من (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، وغيرها[5]. وعن علاقته بالمخطوطات العربيّة قال في الترجمة التي وضعها لحياته: « ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى بدون أب؛ وأعني بهم المخطوطات»[6]. ويلاحظ أنَّه من أجل المخطوطات عاش في هولندا من سنة 1738 إلى سنة 1746، وبعد عودته استنسخ رايسكه ما وجده من مخطوطات عربية في مكتبة لبستك البلدية.

ترك **رايسكه** آثاراً علميةً واسعةً في مجال تحقيق المخطوطات، وكانت البداية في مجال الشعر العربي عامَّةً والمعلقات خاصةً، والتي اطلع عليها في المخطوطتين رقم (292–692) من مخطوطات مجموعة فارنر في مكتبة ليدن[1]، ومنها ديوان جرير، ولامية العرب للشنفرى، وديوان طهمان بن عمرو الكلابي، ثم حماسة البحتري، وعُني بتحقيق معلقة طرفة بن العبد، وأضاف إلى تحقيقه لنص المعلقة تحقيقه لشرح النحاس، وقد ترجمت المعلقة إلى اللاتينية.

---

[2] هويدي، أحمد محمود، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه، وتوجهاته المستقبلية، تر: محمود فهمي حجازي، ط1، القاهرة، 2000، ص183.

[3] زقزوق، محمود حمدي، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ط1، مكتبة الشرق الدولية، بيروت، 2000، ص188.

[4] انظر: المرجع نفسه، ص188، 189.

[5] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص204 – 205.

[6] ميشال، جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، ط1، معهد الانتماء العربي، بيروت، 1982، ص190–191.

[1] سلمان، عباس محمد حسن، جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي الإسلامي، ط1، الإسكندرية، 2007، ص77، 78.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

ومن أجل تفانيه في حبِّ العربيّة، ودعوتُه أن تصبح اللغة العربية مادَّةً مستقلّةً عن بقية اللغات السامية الأخرى، ودعوته إلى استبعادها عن الدراسات اللاهوتية التي كانت سائدةً في العصور الوسطى الأوربية، ورفضه أن تبقى الدراسات العربية في خدمة الفيلولوجيا الدينية وتفسير التوراة، واهتمامه بتاريخ العرب وآدابهم، وتقديره لقيمة الإسلام، ونقده لطرق أساتذته اللاهوتيين في بحثهم لاشتقاقات السامية، وتحديه لهم؛ حيث كان يدعو إلى إعادة النظر في مشكلات مناهج البحث، ويقيم الدليل على أنَّ محاصيل البحوث العلمية مشكوكٌ فيها، ومجاهرته بنقده لتجاربهم اللغوية دون مراعاةٍ لنفوذهم، لأجل ذلك لمْ يُؤْبَه لنبوغه، وقيمة توَجُّهِه الفكريّ؛ فاتُّهم بالزندقة، وحُرم من الكرسيّ الجامعيّ، وكانت حياته أقرب إلى التشرُّد، فما كان منه إلاَّ أنَّ قال عن نفسه: **لقد أصبحت شهيد الأدب العربي**[2] .

ورغم صعوبة الظروف التي مر بها إلاَّ أنَّه واصل نشر أفكاره وإنتاجاته، حتى وافته المنية عام 1774 تاركاً خلفه إرثًا معرفياً واسعاً من الدراسات العربية والإسلامية واليونانية.

المطلب الثاني: في سبيل فهم الشعر الجاهلي لنولدكه

1/ كلمة عن المستشرق نولدكه

لا بد لمن يتناول الاستشراق الألماني أن لا يُهمل الحديث عن **ثيودور نولدكه** (Theodor Noldeke) (1836– 1930م) ، الذي اهتم بالأبحاث القرآنية، إلى جانب اهتمامه بالشعر العربي القديم وخصوصاً المعلقات. ولد المستشرق الألماني تيودور نولدكه في 2 مارس من سنة 1836 بمدينة هاربورغ(Harburg) ، ضمّت إلى إقليم هامبورغ سنة 1977. قضى الفترة الممتدّة بين 1849 و1853 في مدينة لنجن(Lingen) ، أقبل فيها بشغف على الاطلاع على الآداب الكلاسيكيّة (اليونانيّة واللاتينيّة)، ودرس عددًا من اللغات، بخاصة العربيّة والعبريّة والسريانيّة والآراميّة والسنسكريتيّة والفارسيّة والتركيّة. أحرز درجة الدكتوراه الأولى سنة 1856 برسالة عنوانها "تاريخ القرآن" باللاتينيّة، عالج فيها مسألة نشوء النصّ القرآني وجمعه، وروايته وقضيّة التسلسل التاريخي للسور، مقترحاً ترتيبًا لها مغايراً لترتيب زمن نزولها، مثلما هو معهود في الإسلام، وهي مسائل تعمّق فيها أكثر للمشاركة في المسابقة التي أعلنت عنها أكاديميّة باريس في الموضوع نفسه، ثمّ قام بترجمة الرسالة ونشرها باللغة الألمانيّة. ارتحل إلى فيينا في ما بين 1856 و1857، لينكبّ على دراسة مخطوطات مكتبتها، ثمّ انتقل إلى ليدن من 1857 إلى 1858، وفيها عكف على قراءة المخطوطات العربيّة التي كانت متوفرة بكثرة، وعلى قدر كبير من الأهمّيّة والنفاسة، وتمكّن من معرفة عدد مهم من المستشرقين المتميّزين، أمثال دوزي(Dozy) ، ويونبول(Junyboll) ، ودي فريس(Matthys de Vries) ، و دي يونغ (De Jung)، وأنجلمن..(Engelmann) . ثمّ عاد إلى ألمانيا لينكبّ على دراسة المخطوطات العربيّة بمكتبتي جوتا وبرلين. واشتغل في هذه الفترة مساعدًا في مكتبة برلين، وكُلّف بإعداد فهرس للمخطوطات التركيّة فيها. وعُيّن سنة 1861 معيداً بجامعة جيتنجن، وقدّم دروساً في التفسير عن "سفر اشعيا"، وفي النحو العربي. ونشر في هذه الفترة مجموعة دراسات وبحوثاً حول الشعر العربي، جمعها في كتابه "أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء". وانشغل أيضاً بمسائل النحو العربي،

[2] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص206–230.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

والنحو المقارن للغات السامية. وأثمر هذا الانشغال كتابين، هما: "في نحو العربيّة الفصحى" (1897)، و"أبحاث عن علم اللغات السامية" (1904). وتمّ تعيينه سنة 1864 أستاذاً للغات السامية بجامعة كيل(Kiel) ، ثمّ بجامعة ستراسبورغ سنة 1872 ، فبقي فيها إلى أن بلغ سنّ التقاعد سنة 1906. وتوفّي في 25 ديسمبر سنة 1930[1].

2/ نولدكه وقضية صحة الشعر الجاهلي

يعدُّ نولدكه رائد المدرسة الألمانية في الاستشراق، كما تعدّ دراسته الموسومة "تاريخ ونقد الشعر العربي القديم" من أقدم الدراسات الاستشراقية وأخطرها، على صعيد تقييم مصادر الشعر الجاهلي ونقده، وعلى صعيد دوره في الدولة الأموية، فضلاً عن تحليل علاقته بالتكوين السيكولوجي للإنسان العربي[2]. ويبدو أنَّ نولدكه أول من لفت الأنظار إلى قضية الانتحال في الشعر الجاهلي وكان ذلك سنة 1864م، فقد تحدث عن "تضارب الروايات واختلافها في نصوصها، وعن رواة الشعر الجاهلي، وعن تداخل الشعر ببعضه في بعض الأحيان، بحيث يدخل شعر شاعر في شعر غيره، أو ينسب شعر شاعر لغيره، ثم عن تغيير وتحوير الأشعار المقالة بلهجات القبائل؛ لجعلها موافقة للعربية الفصحى"[3]، ولكنَّ السؤال الذي يطرح نفسه، هل المستشرقون هم أوَّل من طرح قضية صحة الشعر الجاهلي؟ فالواقع يثبت أنَّ هذه القضية ترجع إلى القرن الثالث الهجري، سيما عند محمد بن سلام الجمحي (194هـ-231م)، في كتابه "طبقات الشعراء"، والذي أقرَّ فيه:

-الانتحال والوضع حقيقة في الشعر الجاهلي، فيقول: "وفي الشعر مصنوع مفتعل، وموضوع لا خير فيه"[4].

-الأشعار التي نسبت إلى قوم عاد وثمود ومن سبق القحطانيين منحولة مزيفة، وكان ممن أفسد الشعر وهجنه وحمل كل غثاء منه الكثير من الرواة: خلف الأحمر وحماد الراوية ومحمد بن إسحاق بن يسار، وهؤلاء كانوا يصنعون الشعر وينسبونه إلى كبار الشعراء في الجاهلية وصدر الإسلام، ويزيدون في الأشعار من عندهم، وقد كتب بن يسار في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثمَّ جاوز ذلك إلى عاد وثمود[1].

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص 595-598.

[2] عبد الخالق غسان، لماذا انتقد نولدكه الشعر الجاهلي ثم طالب الألمان بالاقتداء به؟ نقلا عن موقع: https://www.hafryat.com/ar/blog.

[3] المنصوري، سحر كاظم حمزة، الانتحال في الشعر الجاهلي عند المستشرقين، نقلا عن موقع: http://www.uobabylon.edu.iq .

[4] محمد بن سلام الجمحي، ، طبقات فحول الشعراء، ط1، دار الكتاب العلمية، بيروت، 1988، ص27.

[1] المرجع السابق، ص28.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

–الأشعار التي نسبت إلى حمير وجنوب اليمن كانت باللغة العربية القريشية، وفي ذلك دلالة على أنَّها أشعار منحولة؛ كون لغتهم ليست هي العربية التي ورد بها الشعر الجاهلي، وفي ذلك يقول أبو عمرو بن العلاء: "ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا، ولا عربيتهم بعربيتنا، فكيف على عهد عاد وثمود؟! مع تداعيه ووهيه"[2].

– قال أبو عمرو بن العلاء: "ما انتهى إليكم ممَّا قالت العرب إلاَ أقله، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علمٌ وشعرٌ كثيرٌ"[3]، وهذا راجع أنَّ أغلب أشعار ما قبل الفتوح الإسلامية ضاعت بسبب انصراف الناس عن رواية الشعر إلى الجهاد، وأنَّ أغلبهم قد هلكوا إمَّا بالموت أو القتل.

– لما راجعت القبائل رواية الشعر، وذكر أيَّامها ومآثرها، استقل بعضهم شعر شعرائها، وما ذهب من ذكر وقائعها، فأرادوا أن يلحقوا بمن لهم الوقائع والأشعار، فقرضوا الشعر ونسبوه إلى شعرائهم، ثمَّ كانت الرواة بعد ذلك، فزادوا في الأشعار التي قيلت[4].

–انتحال القصائد لأسباب دينية، من ذلك ما نسب لحسان بن ثابت؛ بغية النيل منه، كونه المساند للدعوة الإسلامية؛ حيث "حُمل عليه ما لم يُحمل على أحد"[5].

كانت تلك أهم النتائج التي قدَّمها ابن سلام وتبنَّاها طه حسين في كتابه "في الشعر الجاهلي"، سبقه في ذلك المستشرق الألماني نولدكه بما يقارب خمسة وستين عاماً، وقد جاء تناول نولدكه لقضية صحة الشعر الجاهلي في كتابه: (أبحاث لمعرفة شعر العرب القدماء) أو (حول الشعر العربي) المطبوع في هانوفر 1864م، حيث استعان بنتائج البحث في اللغات السامية، وما كشفت عنه النقوش الحميرية والسبئية، وبالمقارنة بما حدث في الآداب الأخرى، مثل الأدب اليوناني، وبصفة خاصة إلى هوميروس، وفي الأدب الألماني كذلك، ليسوق الأسباب الدقيقة التي تؤيد وتوسع من نطاق النتائج التي وصل إليها ابن سلام الجمحي، لكنها غير مؤيدة بالأسانيد التاريخية، ومن الأسباب التي دفعت نولدكه إلى الشك في صحة الشعر الجاهلي:

–اعتباره أنَّ الفترة التي تمتد بين نظم هذه الأشعار وزمن تقييدها بالكتابة فترة طويلة، تعرَّض فيها النص الشعري إلى التغيير، وليس في وسع الباحثين إرجاع النص إلى صورته الأصلية، لأنَّ ذلك أمر يستحيل تحقيقه.

–جهل الكثير من النساخ بتقنيات النسخ وأصوله، مماً أدَّى بهم إلى الخلط في كثير من المرات، أو إلى نسخ النصوص وفق أذواقهم.

---

[2] المرجع نفسه، ص29.

[3] المرجع نفسه، ص34.

[4] ابن سلّام الجمحي، محمد، طبقات فحول الشعراء، ص39.

[5] المرجع نفسه، ص215.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

–عدم صحة الروايات المتعلقة بنشأة نظم القصائد تاريخياً والظروف التي أحاطت بوجودها، فقد نسب الكثير من القصائد إلى غير أصحابها الذين تميزوا بخصائص أسلوبية، تجعل شعرهم متميزاً عن غيرهم.

–نفيه لوجود المعلقات في واقع الجاهلية؛ بل يعدها أسطورة صاغها الرواة، واستند في ذلك إلى عدم وجود الأدلة التاريخية الدامغة التي تثبت وجود هذه المطولات، ودليله في ذلك: قوله أنه لا وجود رسمي لسوق عكاظ التي جرت فيها المسابقة بين هذه القصائ،د لا في القرآن، ولا في النقول الدينية أو مصادر الأقدمين الذين دونوا تاريخ مكة القديم، ولو ثبت صحة الخبر لأبدى النَّبي صلى الله عليه وسلم رأيه في هذا الأمر، ثم إنَّ ابن النحاس يذكر أنَّ حمادًا الراوية هو الذي اختار السبع الطوال وعدها أفضلها، وقد أيده المفضل الضبي وأبو عبيده بن المثنى[1].

ويمكن اختصار منطلقات نولدكه في حكمه على الشعر الجاهلي في :

1.العلاقة بين النقوش وبين الأشعار.
2.العلاقة بين القرآن وبين الأشعار.
3.الثقة في الرواة.

3/ مقاربة نقدية لجهود نولدكه في قضية صحة الشعر الجاهلي

إنَّ التسليم بعدم صحة الشعر الجاهلي يطعن في تراثنا الأدبي الذي يشكل صرحاً عتيداً ليس من السهل التفريط فيه، بحجة وجود قصور يعتري البحث فيه، ومن النقاط التي لا بد من الرد عليها في ادعاءات نولدكه ما يأتي:

- من غير المسلم به أنَّ الشعر الجاهلي قد ظهر مع قصائد المهلهل وامرئ القيس على حد قول الجاحظ، ذلك ما قصده الجاحظ بالشعر بمفهومه الحقيقي في إطار قصائد ومطولات يتدرج فيها الشاعر في الوصف وفي الغزل وفي الفخر، وغيرها من الموضوعات التي شغلت الشاعر العربي في الجاهلية، أمَّا هذه الأبيات والشذرات القليلة التي سبقت ظهور القصائد فلا يمكن أن نعدها شعراً، لأنَّ الرؤية الشعرية لا يمكن أن تكتمل في بيت أو بيتين، والعرب لم يطلقوا اسم شاعر على "... قائل البيتين والثلاثة، إذاً فقد كانت هناك أبياتٌ ومقطوعات سبقت عهد هؤلاء الشعراء الذين أطالوا في القصائد، وهذه الفترة التي برزت في هؤلاء الشعراء هي الجاهلية الأخيرة التي لا تتجاوز المائتي عام، لكنّها سبقت بفترات يطلق عليها الجاهلية الأولى، نشأ الشعر خلالها وترعرع، وهي التي ولد فيها الشعر حقاً، وإن كانت أصول نشأته لا يعلمها إلاَّ الله"[2]. وما يمكن الاستدلال به على عدم حداثة الشعر الجاهلي عقلياً في تصور "كيف يسوغ للناس أن يتذوقوا شعر امرئ القيس ومعاصريه فجأة، ويعجبوا به دون أن يكونوا قد تمرسوا في أشعار سابقة؟[1].

[1] بدوي، عبد الرحمن، دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1979م، ص29–35.
[2] صيام، زكريا، دراسة في الشعر الجاهلي، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص20.
[1] المرجع السابق، ص22.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- أمَّا ما أُثير حول حماد الراوية فإنَّ فيه شيئاً من الحقيقة، وشيئاً من الوضع، ما أساء لتراثنا القديم من خلال توفير مادة دسمة للمستشرقين لتشويه هذا التراث، فالواقع يثبت أنَّه لم توجد مصادر أدبية أثبتت أنَّ حماداً شاعراً، ولو كان كذلك لنسب لنفسه بعضه، ثم إنَّ ابن سلام وإن كان يشكك في صحة روايته، إلاَّ أنَّه يعترف بدوره الفعَّال في جمع أشعار العرب وإتقانه للغاتهم، ويكفي أنَّه أول من جمع أشعار العرب وساق أحاديثها، ولا ينكر وضعه لبعض الأشعار مثل وضعه قصيدة في مدح أبي موسى الأشعري على لسان الحطيئة[2]. وقد أورد الأصفهاني في الأغاني على لسان أبي عمرو الشيباني الذي قال: "ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد الراوية إلاَّ قدمه على نفسه، ولا سألت حماداً عن أبي عمرو إلاَّ قدمه على نفسه"[3].
- وأمَّا زعمه أنَّ المعلقات من وضع حماد الراوية، فإنَّه من غير معقول عقلاً ولا منطقاً، فمن غير المعقول أن ينظم شاعر واحد مئات الأبيات مع ما تتطلبه من جهدٍ، ثم ينسبها لشعراء جاهليين، اخترع لكل واحدٍ منهم اسماً وسيرةً، فأيُّ سذاجةٍ تلك؟!. وأمَّا ادعاءه أنَّ أمر تعليق المعلقات غير واردٍ في كتب السِّيرة والتاريخ رأي يجانب الصواب، فالسِّيرة النَّبوية تثبت أنَّ ظاهرة التعليق على الكعبة كانت موجودة قبل الإسلام، ذلك أنَّ قريشاً كانت تعلق في جوف الكعبة أو على أستارها ما يتصل بعلاقاتها مع العرب اقتصادياً أو ثقافياً، من ذلك تحالف بطون قريش من غير بني هاشم وعبد المطلب ضد النَّبي صلى الله عليه وسلم وكتابة التحالف في صحف عُلِّقت على الكعبة"[4].

والطعن في صحة الشعر الجاهلي ما هو إلاَّ عيّنةً لبحوث المستشرقين المختلفة، فقد بحثوا في كل جزئيات تراثنا القديم، ولم يتركوا مجالاً للتَّشكيك في كل ما وقعت عليه أيديهم. ويعدُّ نولدكه من أساطين الاستشراق الألماني الذين جاهروا بحقدهم على التراث العربي والإسلامي، ولم يكتف بالطعن في صحَّة الشعر الجاهلي؛ بل طعن في صحَّة نسبة القرآن الكريم للمولى عزَّ وجلَّ كذلك، وأقر ما مفاده أنَّه صنعةٌ بشريةٌ، وقد جاء في كتابه (تاريخ القرآن) عدم صحَّة النص القرآني، وأنَّ آياته تأثَّرت بما عايشه النَّبي صلى الله عليه وسلم من ظروفٍ في حياته، فكانت النتيجة لذلك اختراعه للقرآن الكريم–تعالى عن ذلك علواً كبيراً–وغيرها كثيرٌ من الافتراءات التي كان القصد منها النيل من التراث العربي الإسلامي، ممثَّلاً في لغته التي تُعدُّ هوية المسلمين.

المطلب الثالث: تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

1/ كلمة عن المستشرق بروكلمان

[2] الجمحي، محمد بن سلام، طبقات فحول الشعراء، ص40.

[3] الأصفهاني، الأغاني، ط1، دار لثقافة، بيروت، 1965، د.ت، ص711/6.

[4] سليمان، حسين محمد، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية مقارنة، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص228.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

عاش بروكلمان (Carl Brockelmann) ما بين (1868)، و(1959م) ولد في مدينة روستوك الألمانية، وكان والده تاجراً في سلع المستعمرات، وكانت أمُّه تشجِّعه على دراسة الأدب الألماني، ظهرت ميوله للدراسات الشرقية، وهو في المدرسة الثانوية، درس عند نولدكه الشرقيات، وعند هوبشمن اللغة السنسكريتية والأرمينية، حصل على الدكتوراه من جامعة اشتراسبورج، وعُيِّن مدرساً في المدرسة البروتستنتية، واصل دراسته للعربية، غادر إلى برسلاو (1892م)، وحصل على دكتوراه التأهيل للتدريس في دير هابل (1893م)، استلم كرسي الدراسات الشرقية في برلين (1921م)، تقاعد في عام (1935م)، وواصل العمل في كتابه "تاريخ الأدب العربي"[1]. وكتاب آخر هو **(تاريخ الشعوب والدول الإسلامية)** الذي ظهر سنة 1939م، ونقله إلى العربية **نبيه أمين فارس** و**منير بعلبكي** سنة (1949- 1951م). وكتابه الرائد **(قواعد اللغات السامية)** في مجلدين ضخمين 1961م.

2/ التعريف بكتاب (تاريخ الأدب العربي) وقيمته العلمية

يعدُّ كتابه (تاريخ الأدب العربي) أشهر مؤلفاته الذي ينتمي في الواقع إلى الاتجاه الموسوعي التراثي قراءةً وتحقيقاً ونقداً وتحليلاً، فهو عملٌ بيبليوغرافيٌّ فهرسيٌّ، يؤرخ لتاريخ الأدب العربي من وجهة نظرٍ أجنبيةٍ محاولاً تسجيل الدور العالمي الذي اضطلع به أدب العرب في دفع مواكب العلم وحثِّ ركاب الثقافة والحضارة الإنسانية، كما يقول مترجم كتابه عبد الحليم النجار.

تُرجم الكتاب في ستة أجزاءٍ، وفيه رصدٌ لما كتب باللغة العربية في شتى العلوم من مخطوطاتٍ، ووصفها ومكان وجودها. ظهر الجزء الأول من الكتاب أواخر القرن 19م، وقد عمل عليه طوال نصف قرنٍ من الزمن، ونقله عبدالحليم النَّجار إلى العربية بتكليفٍ من جامعة الدول العربية، ونشرته دار المعارف في مصر. يقول ناشر هذا الجزء في مقدمته: "كان تعريب كتاب تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان أملاً يراود كل قارئ بالعربية، حينما يبحث في علوم العرب وآدابهم، أو يحاول سبر جهود العلم العربي ومتابعة خطواته في تأسيس ثقافة العالم الجديد وتنمية حضارته، أو يريد حصر ما تشتَّت وإحصاء ما تفرَّق من تراث الفكر العربي في مكتبات العالم وخزائن الكتب، ليتَّخذ من ذلك آياتٍ بيناتٍ للفخر والاعتزاز، أو عدَّةً ومدداً للبعث والإحياء، أو يتطلع أخيراً إلى معرفة ما ترجم إلى لغات العالم من ذلك التراث الخالد، وما أثير حوله من بحوثٍ وصُنِّف من دراساتٍ قدَّمت خطى العلم والأدب ودفعتهما إلى الأمام في الشرق والغرب؛ وهذه هي المقاصد الكبرى التي وضعها بروكلمان نصب عينيه في تاريخ الأدب العربي، ويغلب عليه في هذا العمل الاتجاه الإنساني العالمي الشامل"[2].

تتبَّع **الجزء الأول** من الكتاب منحى تاريخ الأدب والكتب السَّابقة التي تناولته، وأهم المصادر لتراجم المؤلِّفين والمؤلَّفات، والمحاولات الأولى لتاريخ الأدب العربي، وذلك في ثلاثة أبواب وعشرة فصول. أمَّا **الجزء الثاني** فقد تناول فيه عصر النهضة العربية منذ نحو 750 إلى 1000م، وذلك في أربعة أبواب تطرق فيها إلى شعراء بغداد والجزيرة

[1] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص98-103.

[2] الجباري، نجيب محمد، المستشرق الألماني كارل بروكلمان وتاريخ الأدب العربي، نقلا عن موقع:
http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=4165

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

العربية والشام وشعراء مصر من العصر العباسي، ثم انتقل إلى دراسة النثر الفني، وعلم العربية ومدارسها في كل من الكوفة والبصرة وبغداد وفارس وبلاد المشرق. أمَّا **الجزء الثالث** فقد تناول في أبوابه الثمانية أوَّلية التاريخ وعلم الحديث وكتب المسانيد وعلم الفقه والمذاهب الفقهية، مُعرِّجاً في **جزئه الرابع** إلى بحث أثر القرآن في توجيه الأدب وبعث الثقافة وإحياء العلوم، متوقفاً عند القراءات وتفسير القرآن والعقائد والتصوف والفلسفة والرياضيات وعلم الفلك والتنجيم والجغرافيا والطب والعلوم الطبيعية. أمَّا **الجزء الخامس** فقد خصَّصه لعصر ما بعد الفترة القديمة للأدب الإسلامي من نحو سنة 1010م إلى 1258م، وفيه ثلاثة أبواب اختص كل منها إمَّا بالشعر أو بالنثر الفني والبلاغة أو علم اللغة. وختم بروكلمان تأليفه هذا **بالجزء السادس** المتعلق بتواريخ الدول والرجال وكتب الأنساب وتواريخ المدن والأمصار وتواريخ الأنبياء منتهياً إلى أدب السمر والنثر.

لم يكتف بروكلمان في أجزاء كتابه الستة بعَدِّ أسماء الأدباء من كُتَّابٍ وشعراء وعلماء وفلاسفة، على طريقة كتب الطبقات ونمط التراجم، أو على منهجية السجلات الإنجليزية أو الأمريكية في أحسن الأحوال، ولا بسرد أسماء المصنَّفات والمؤلَّفات العربية في شتّى العلوم والمعارف والآداب؛ بل تناول الحياة العقلية كافةً بالوصف والنقد والتحليل، وجعل الصور المتكاملة لحيوات جميع العلوم والفنون وتراجم مشاهير العلماء والأدباء في دراسةٍ مفصَّلةٍ مقارنةٍ مصحوبةٍ بكل ما وقف عليه من آثارٍ وتواليف في كل المكتبات والخزانات بالمشرق والمغرب، مشفوعةً بكل ما علمه من وجوه التأثير المختلفة لهذه الآثار من ثقافة العالم وحضارته، وما بني له من ترجماتٍ وما أثير حوله من بحوثٍ ودراساتٍ.. كل ذلك بنفاذ بصيرةٍ وصواب تقديرٍ وحرصٍ وموازنةٍ وإحاطةٍ شاملةٍ وسعة أفقٍ وقوة ملكةٍ، مكَّنته من مختلف اللغات والثقافات والفنون، وتخصُّصٍ عميقٍ بجوانب الثقافة الشرقية على العموم والعربية على الخصوص. وقد أعاد طبع الجزأين الأولين مصحَّحين مهذبين سنتي 1943 –1949 [(1)] .

3/ مقاربة نقدية لكتاب بروكلمان "تاريخ الأدب العربي"

اهتم كثير من الباحثين العرب بكارل بروكلمان، وقد تباينت مواقفهم منه، فبين معجبٍ بإنجازاته ومشيدٍ بها، وبين ساخطٍ عليه، ومتَّهمٍ إياه بتشويه التراث الإسلامي. وممَّن أشاد بجهوده نجيب العقيقي الذي يقول: "اشتهر بروكلمان بحجم نشاطه وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية والعمق والشمول والجدَّة، ممَّا جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي، إذ قلَّ منهم من لم يستند إليه أو يتوكأ عليه..." واستعرض أعماله البالغ عددها خمسمائةٍ وخمسين كتاباً[(2)].. ويقول عنه عبد الرحمن بدوي: "...من ذا الذي يمكن أن يستغني عن (تاريخ الأدب العربي) بأجزائه الخمسة؟! إنَّه لا يزال حتىَّ الآن المرجع الأساسي والوحيد في كل ما يتعلق بالمخطوطات العربية وأماكن وجودها"[(3)1] .

[(1)] الجباري، نجيب محمد، المستشرق الألماني كارل بروكلمان وتاريخ الأدب العربي، نقلا عن موقع: http://www.arabicmagazine.com .

[(2)] العقيقي، نجيب، المستشرقون، 2/425،424.

[(3)] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ص57.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وأمَّا الفئة التي تصنِّفه ضمن من تسمِّيهم (المستشرقون الحاقدون على الإسلام)، فمنهم لخضر شايت الذي يقول: "قدم كارل بروكلمان مجهوداً بالغاً في الدراسات العربية، ويعد كتابه (تاريخ الأدب العربي) فتحاً في بابه، ولكنه لم يقدِّم أيَّ إضافةٍ فيما يخص الدراسات الإسلامية ، ما عدا عمله على نشر فكرة تأليف النَّبي صلى الله عليه وسلم الإسلام متأثراً في ذلك باليهودية والمسيحية. والحقيقة أنَّ كره بروكلمان للإسلام لا يبدو فقط في أفكاره الكاذبة التي يشاركه فيها غيره من المستشرقين؛ بل في أسلوب الوصف (البارد) الذي كان يقدمه بكل مبحثٍ إسلاميٍّ درسه، فبدا بذلك غير مهتمٍ بموضوعات بحثه أصلاً، ممَّا يجعلنا نندهش من تعرُّضه للإسلام بالدراسة ما دام لا يريد أن يتعلم أو يعلم عنه شيئاً... وهو يعلمنا مثلاً أنَّه لا يجوز للباحث أن يحكم على الإسلام بناءً على القرآن وحده، وأنَّ الإسلام هو مجرَّد نقلٍ للديانات التوحيدية السابقة... وقد اتَّهم بروكلمان النَّبي صلى الله عليه وسلم بتأليف دينه عن اليهود والنصارى مركزاً على المصادر اليهودية التي أخذ عنها فكرة الخطيئة الأصلية..." [1]

ومهما قيل عن كتاب بروكلمان وعن الأخطاء والزلاَّت التي وقع فيها، والتي حاول بعض الدارسين العرب أن يتداركوها عليه بالتصحيح والتصويب، إلاَّ أنَّه يبقى لهذا الكتاب فضل السبق في التعريف بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في جميع مكتبات العالم، لأنَّه جهدٌ فرديٌّ بإمكاناتٍ محدودةٍ لم تستطع حتى بعض المؤسسات والهيئات الرسمية وغير الرسمية القيام به آنئذ. لكن هذا الإنجاز ليس مسوغاً لبروكلمان أن يتمادى في افتراءاته التي حصدها عليه العلماء التي مسّت الفكر والتراث العربيين والإسلاميين، وكتابه (تاريخ الشعوب الإسلامية) خير دليل على تلك الافتراءات.

المطلب الرابع: المعجم اللغوي التاريخي لفيشر

تحظى المعاجم التَّاريخيَّة بعنايةٍ بالغةٍ من قبل اللُّغويين الذين يولون اهتمامهم بفن صناعة المعاجم باعتباره المجال الذي يُعنى بالحفاظ على لغة الأمم الممثِّلة لهويَّتها، وقد نشأت فكرة إنجاز معجمٍ تاريخيٍ للغة العربية، حيث شهدت الساحة العربية بروز مشاريع ومبادراتٍ لإنجاز هذا النوع من المعاجم، ومن أهم تلك المحاولات، معجم المستشرق (فيشر).

1/ كلمة عن المستشرق فيشر

يعدُّ أوغست فيشر (AUGUST FISCHER) من أبرز المستشرقين الألمان أثراً في مجال صناعة المعجم العربي، واختص باللغة العربيَّة: نحواً وصرفاً ومعجماً، مواصلاً الدرب الذي بدأه أستاذه اللُّغوي (هينرش ليبرشت فليشر) مؤسِّس ما يعرف باسم مدرسة ليبتسك في الاستشراق الألماني. ولد عام (1865)، وتوفي في الرابع عشر من شهر فبراير عام (1949). حصل على شهادة الدكتوراه الأولى نهاية عام 1889 من جامعة (هلّه)، وكان عنوان رسالته: (تراجم حياة الرواة الذين اعتمد عليهم ابن إسحاق)، وقد نشرت تلك الرسالة عام 1890. وقد عمل مدرِّساً للُّغة العربيَّة

[1] الشايب، لخضر، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ط1، الرياض، دن، 2002م، ص263، 264.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

وأميناً لمعهد اللُّغات الشرقيَّة في برلين بدءًا من عام 1896 إلى ربيع 1900، ثم شغل بعدها كرسيَّ اللُّغات الشرقيَّة في جامعة ليبتسك، وقد بدأ عمله فيه عام 1900، فاستطاع أن يجعل من تلك الجامعة مركزاً مرموقاً للدراسات الشرقيَّة[1]. وكان رحلته إلى المغرب عام 1898 أوّل اتِّصال له بالعالم العربي، ما ساعده على إتقان اللَّهجة المغربيَّة المراكشيَّة بفضل (الجيلاني الشرقاوي)، وهو مدرِّسٌ للَّهجة المغربيَّة، نتج عن ذلك مقالاتٌ عدَّةٌ عن هذه اللَّهجة، من ذلك مقالته التي جمع فيها الأمثال المغربيَّة وسمَّاها (أمثالٌ مراكشيَّة)، وتوالت المقالات في هذا السياق، وقد عني بدراسة النحو الذي عدَّه لبَّ الدراسات العربيَّة، ودراسة تاريخ اللُّغة العربيَّة من أقدم نصوصها إلى لهجاتها المحليَّة المعاصرة، وحرص على تحليل لغة الشعر بوجهٍ خاصٍ، وعدها أهم شاهدٍ لمعرفة العربيَّة، ما دفعه لتصنيف (فهرست الشواهد)، فقد أثبت فيه كل الشواهد الشعريَّة الواردة في كتب النحو وشروح الشواهد وفق القوافي والشعراء[2].

اتَّسم المعجم اللُّغوي التاريخي بمنهجيَّةٍ واضحةٍ، وفيما يأتي أفصِّل الحديث حوله:

2/ التعريف بالمعجم وقيمته العلمية

طبع جزءٌ من المعجم من أوّل حرف الهمزة إلى (أبد) بعنوان (المعجم اللغويّ التاريخيّ)، وهو معجم جمع اللُّغة العربيَّة القديمة، وقد رُتِّب على المصادر، قضى (فيشر) أربعين سنة في جمعه وتنسيقه، وقد قدَّم جذاذاته إلى مجمع اللُّغة العربيَّة بمصر، كان دافع تأليف هذا النوع من المعاجم هو افتقار المعاجم العربيَّة إلى الشواهد في كل حالة، فكان هذا المعجم يعتمد في كل معنىً اشتمل عليه اللَّفظ على شواهد من الشعر الجاهلي والأموي تحديداً، وتَمَّ الإعلان عن المشروع لأوَّل مرةٍ عام (1907) أثناء انعقاد مؤتمر الفيلولوجيين الألمان في (بازل)، ثم في المؤتمر الدولي المنعقد للمستشرقين في (كوبنهاجن) عام (1908). وحتى يكون صنع المعجم دقيقاً جعل له (فيشر) حدًّا زمنياً يمتد من عصر الجاهليَّة إلى نهاية القرن الثالث الهجري، وقد أشار إلى ذلك بقوله: "فالمعجم يتناول بقدر الإمكان بحث تاريخ كل الكلمات التي جاءت في الآداب العربيَّة، مبتدئاً بالكتابة المنقوشة المعروفة بكتابة النِّمارة من القرن الرابع الميلادي، ومنتهياً بالعهد السابق ذكره "نهاية القرن الثالث الهجري، أي حتى نهاية ما وصلت إليه اللُّغة العربيَّة من كمال" [3].

وقد جُمعت اللُّغة العربيَّة القديمة في هذا المعجم معتمداً على الشعر من بدايته إلى العصر الأموي، وكذا اعتمد لغة القرآن ولغة الحديث، ولغة المؤرخين، واستغل المواد المعجمية التي خلفها (فليشر)(Fleischer)، و(توربيكه)(Torbike)، و(جولدسيهر)(Goldziher)، وغيرهم. بدأ (فيشر) عمله عام 1913 مستخرجاً مواده من المعلقات والمفضليَّات والأصمعيَّات والحماسة والهاشميَّات وشعر المراثي...، وفي الحديث اعتمد على البخاري وأجزاء من تاريخ الطبري، حيث بلغ عدد الجذاذات عام (1918) اثني عشر ألف جذاذة، وكان ذلك بمساعدة بعض الألمان

---

[1] بدوي، عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1993، ص280-404.

[2] شتيح، بن يوسف، جهود المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية –المستشرقون الألمان أنموذجا–، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع7، 2013، ص17.

[3] نصار، حسين، المعجم العربي نشأته وتطوره، ط1، دار مصر للطباعة، مصر، 1988، 587/2.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

والمصريين[1]. ولما أنشئ مجمع اللُّغة العربيَّة في مصر عام (1932) عيِّن فيشر عضواً فيه، فاستأنف عمله ما جعله يتردَّد على القاهرة في شتاء كل عام حتى عام (1939)، فلمَّا قامت الحرب لم تسنح له فرصة العودة بعد أن ألغيت عضويته في المجمع، وبقيت المادَّة العلميَّة التي جمعها لدى أمانة المجمع، فكان مصيرها الضياع، ولم يبق منها إلاَّ النزر القليل، وقد حاولت بعض الجامعات الألمانيَّة الحصول عليها لاستكمال الجهد، ولكن محاولاتها باءت بالفشل.

نشر مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة القسم الأوَّل من المعجم عام (1967)، يحتوي على مائة وستة وعشرين صفحةً، منها ستة وثلاثون صفحةً لمقدّمة المؤلف، إضافة إلى صفحة التصدير التي كتبها الأمين العام للمجمع (إبراهيم مدكور)، وقد حظيت المقدّمة بشرح الجهود العربيَّة في صناعة المعاجم، وكذا الجهود الاستشراقيَّة في هذا المجال، وذكر (فيشر) النقائص التي اعترت المعاجم العربيَّة والغربيَّة، وحدَّد أهداف تأليف معجمه والمصادر التي اعتمدها في جمع مادَّته، والمنهج الذي اتَّبعه، وصوَّر طموحاته للوصول إلى معجمٍ عربيٍّ عصريٍّ، يساير التطور العلمي، وذكر الخطَّة التي اعتمدها في ترتيب معجمه. وقد وضع بعد ذلك ثماني عشرة صفحةً للكتب التي نقل عنها شواهده، ونبَّه في صفحتين على الألفاظ الأعجميَّة التي كتبها بالحروف العربيَّة، وأضاف صفحتين لرموز أخرى، وباقي الصفحات كانت لمواد المعجم.

وممَّا سبق نلاحظ الجهد الذي بذله (فيشر) في هذا المعجم، فما صنعه يعدُّ ركيزةً يرتكز عليها المعجميُّون المحدثون؛ لإنشاء معجمٍ تاريخيٍّ للُّغة العربيَّة، وقد ذكر عضو هيئة المعجم التاريخيّ بالقاهرة (محمد حسن عبد العزيز) المزايا التي حظي بها معجم (فيشر)، منها:

–أخذه كلمات المعجم مباشرةً من النصوص العربيَّة، مع الإشارة إلى المصادر المأخوذة منها.

–تبيين نشوء الكلمة وفق وجودها التاريخيّ.

– إظهار إذا ما كانت الكلمة كثيرة الاستعمال أو نادرة.

– تبيين اختلاف دلالات الكلمات وفق اختلاف الأقطار التي تستعملها.

–امتيازه بحسن ترتيب المادَّة وفروعها؛ ليسهل الاهتداء إلى المقصود منها، وليُعرف تاريخ تطوُّر الكلمة في الدلالة على المعاني المختلفة.

– غناه بالشواهد وكثرة المراجع المتباينة، ما يرشد الباحث إلى المعنى الحقيقي للكلمة الذي لا يجده في المعجمات التي تخلو من الشواهد.

[1] العقيقي، نجيب، المستشرقون، 415/2، 416.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

–شرح وتبيين المعنى الحقيقي لبعض الكلمات الواردة في بعض المصادر العربيَّة التي لم يتوصّل مؤلفو المعاجم القديمة إلى تفسيرها؛ لعدم معرفتهم باللُّغات السَّامية وعادات بعض الأمم التي كانت تجاور العرب[1] .

3./ مقاربة نقدية للمعجم اللغوي التاريخي لفيشر

وعلى الرغم من القيمة العلميَّة التي حظي بها المعجم التاريخي للمستشرق الألماني (فيشر)، فإنَّه لم يسلم من بعض المآخذ، أوردها فيما يأتي:

–قدَّم فيشر تقرير نظريته في تأليف المعجم التاريخي الكبير للغة العربية إلى مجمع اللغة العربية بالقاهرة، بيَّن فيه المعجم المثالي في نظره، لكنَّه حينما بدأ بصنع المعجم لم يلزم نفسه بكل ما ذكره في خطته، لأنَّه لم يستطع القيام به وحده، ذلك أنَّه عملٌ يحتاج إلى جهدٍ جماعيٍّ أو مؤسساتي مكثَّف.

–يرى بعض الباحثين "أنَّ فيشر وإن اهتم أحياناً بالتأصيل، فإنَّ معجمه ليس تاريخياً بالمعنى الدقيق، فقد وقف (فيشر) فيما جمعه من مادَّةٍ عند القرن الرابع الهجري، وهو القرن نفسه الذي وقفت عنده المعاجم العربيَّة القديمة، حتى يكون معجماً تاريخياً بالمعنى العلمي الدقيق لا بدَّ من استكمال الفترة المتبقيَّة من تاريخ اللُّغة التي تقدر بحوالي عشرة قرون[2].

–توقفت المادة العلمية لمعجم فيشر عند حرف الهمزة تحديداً (أبد) ولم يتمَّه، على الرغم من الجهد المبذول لإخراج هذا العمل، فإنَّه لم يصل إلى مستوى البراعة التي اتَّسمت بها المعاجم القديمة التي قدَّمها المعجميون العرب القدامى، والتي عُنيت بتاريخ الكلمة وتطورها.

–الاضطراب في التفريق بين المعنى الحقيقي والمجازي، فرغم أنَّه نبَّه إلى بعض المعاني المجازيَّة إلاَّ أنَّه أهمل بعض المعاني المجازيَّة الأخرى؛ ظنًّا منه أنَّها حقيقيَّة، وهو المأخذ الذي لحظه عبد القادر المغربي في قوله: "وإن أشار إلى أنَّ من المعاني ما هو حقيقي وما هو مجازي، لكنه أبهم التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية إبهاماً يوقع في حيرةٍ من تفهُّم ما يقرأ... ويضيف: ومن تأمَّل كلام المؤلّف وجده في تصنيفه لمعاني (أخذ)، قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول أو المتعلّق سبباً لجعل الفعل الواحد فعلين، واعتبار معناه معنيين"[1].

---

[1] عبد العزيز، محمد حسن، المعجم التاريخي للعربية وثائق ونماذج، ط1، دار السلام، د.ت، ص29.

[2] أبو الريش، صابرين مهدي، المعجم التاريخي ودوره في الحفاظ على الهوية وإحياء الماضي وإثراء الحاضر والمستقبل، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، ع32، ص 235.

[1] فيشر، أوغست، المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1968، ص25.

[2] المغربي، عبد القادر، معجم فيشر وصفه ونقده، مجلة المجمع العلمي العربيّ، القاهرة، مج 24، 4/501–504.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

–إدراجه لبعض المعاني ذات المعنى الواحد تحت معانٍ متعدّدةً، ظناً منه أنَّها معانٍ متعدّدة، وهو أمر لا يكاد يسلم منه أعجمي، مثاله: ما ذكره في معاني (أبَّ) ومنها: أَبَّ أبَّه: قصد قصدَه. وأبَّ فلاناً: قصده[2]. وواضحٌ أنَّ المعنى واحدٌ للفعل وهو (قَصَد)، لكنّه في الأوّل غير متعدٍّ، وفي الثاني متعدٍّ إلى مفعول[3] .

– اعتماده على مصادر العربيَّة الأصليَّة بمجالاتها المتباينة؛ للاستشهاد على المعاني، مثل: كتب التاريخ والرحلات والأدب وغيره، التي حقّقها ونشرها المستشرقون دون غيرهم، ولقد اختلطت فيها المصادر الأصلية بالمراجع الثانويّة، فجمع النوعين من المصادر في زمرةٍ واحدة، كأنّها متساويةٌ في القيمة من حيث صلتها بالمعجم التاريخيّ، ولم يرجع إلى المعاجم العربيَّة إلاَّ في مواضع نادرة.

– تميزت بعض أبواب النحو واللغة في المعجم بالاقتضاب وعدم التوسع، فجاءت أغلب أبحاثه عبارةً عن تعليقاتٍ موجزةٍ وتصحيحاتٍ لغويَّة.

الخاتمة:

وفي ختام هذا البحث أخلص إلى جملة من النتائج أجملها فيما يأتي:

–تميزت الدراسات الاستشراقية الألمانية بتركها آثاراً علمية مهمة، يحتاجها الباحث العربي والمسلم والغربي على حدٍّ سواء في مجال الدراسات الشرقية والإسلامية، واللغوية منها خاصة، ورغم كل تلك الجهود إلاَّ أنَّها كغيرها من المدارس الأخرى لم تسلم من الافتراءات على التراث اللغوي العربي وتشويهه والطعن فيه لهدم هويته التي تكمن في لغته.

–المدارس الاستشراقية ليست في موقعٍ واحدٍ في تعاملها مع التراث العربي والحكم عليه، وهي لا تنطلق كلها من مواقف عدائيةٍ للعرب والمسلمين، ولكن هذا القول لا يعني خلو تلك المدراس تماماً من أية نوايا خفية طامعة في تشويه التراث العربي والإسلامي سواء بقصد أو بغير قصد.

–كان لرايسكه دور في تقليص تأثير الكنيسة، وحمل المستشرقين على الأخذ ممَّا هو علميٌّ مستحدثٌ، حيث تحوَّلت دراساته إلى مرجع في الدراسات القرآنية والشعر، فكانت له نظرةٌ مميزةٌ من بعيد مراقبًا للأحداث، حيث فتح لبني جلدته نافذةً على الشرق، وبوجهٍ جديدٍ مختلفٍ عمَّا كانوا يفهمونه من قبل، ليتحوَّل الاستشراق في القرن التاسع عشر إلى علمٍ قائمٍ على النقد التاريخي.

---

[3] الحميد، عبد العزيز، المعجم التاريخيّ لدى المستشرق الألماني أوجست فيشر: دراسة تقويمية، نقلا عن موقع: https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/2355.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

–تطرق نولدكه للشعر الجاهلي بالتَّشكيك في صحته، سبقه في هذا الشك ابن سلام الجمحي. وطعن نولدكه لم يتوقف عند الشعر الجاهلي، وإنَّما طال القرآن الكريم، وهو دستور المسلمين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

–تحلّي بروكلمان بالموضوعية والعمق والشمول والجدّة في كتابه (تاريخ الأدب العربيّ) بأجزائه الستة، وقد ذهب معظم الدارسين إلى أنَّه لا يمكن التخلي عن، وعكس كتابه الأدبي، فإنَّه إذا اطلعنا على كتابه الآخر الموسوم: (تاريخ الشعوب الإسلامية) سنجده مليئاً بالافتراءات والطعن في التاريخ الإسلامي.

– يُعدُّ فيشر أوَّل مستشرقٍ أشار إلى فكرة المعجم التاريخيّ للغة العربيّة، فكان مشروعه أوّل مشروعٍ غير مكتملٍ خصَّ اللغة العربيَّة بمعجم تاريخي، وهذا الجهد يستدعي من الباحثين العرب بذل الوسع في العمل المعجمي، وقد خرجت البذرة الأولى لهذا النوع من المعاجم في 2020م الصادر عن اتحاد مجامع اللغة العربية ومجمع اللغة العربية بالشارقة.

وأهم ما يمكن أن توصي به هذه الدراسة:

– حث الباحثين على العمل المعجمي.

– وكذا ضرورة النظر إلى الموروث الاستشراقي بعينٍ ناقدةٍ فاحصةٍ، والتأني في رفض كل ما جادت به قرائحهم.

–فتح مجال الدراسات الاستشراقية على مصراعيه، وتكوين جيلٍ واعٍ يمتلك الأدوات اللازمة لنقد العمل الاستشراقي.

المصادر والمراجع

الكتب:

- الأصفهاني، الأغاني، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1965.
- أوغست فيشر، المعجم اللغوي التاريخي، تصدير: إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1968.
- إدوارد سعيد، الاستشراق، تر: كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، ط7، 2005.
- ج آربري، المستشرقون البريطانيون .تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، 1946،
- حسين محمد سليمان، التراث العربي الإسلامي، دراسة تاريخية مقارنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت.
- عبد الحميد صالح حمدان، طبقات المستشرقين، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، د.ت.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- رسول محمد رسول، الغرب والإسلام قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق، المؤسسة العربية للدراسات والنقد، بيروت، ط1، 2001.
- عبد الرحمن بدوي:
  - دراسات المستشرقين حول صحة الشعر الجاهلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1979.
  - موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993.
- سالم الحاج ساسي، نقد الخطاب الاستشراقي، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط1، 2002.
- الطيب بن إبراهيم، الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصة في الجزائر، دار المنابع للنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- عبدالله محمد الأمين، الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، 1997.
- عبد الله يوسف الشاذلي، الاستشراق مفاهيم صلات جهود، د.ن، ط1، د.ت.
- لخضر الشايب، نبوة محمد في الفكر الاستشراقي، ((د.ن)، الرياض، ط1، 2002.
- مازن بن صلاح مطبقاني، الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط1.
- محمد حسن عبد العزيز، المعجم التاريخي للعربية وثائق ونماذج، دار السلام، ط1، دت.
- محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط2، 1988.
- محمد محمود الطناحي، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1984.
- محمود حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، مكتبة الشرق الدولية، القاهرة، ط1، 2000.
- مصطفى إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، د.ت.
- ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوربا، معهد الانتماء العربي، بيروت، ط1، 1982.
- نجيب العقيقي، المستشرقون موسوعة في تراث العرب مع تراجم المستشرقين ودراساتهم عنه منذ ألف عام حتى اليوم، دار المعارف، القاهرة، ط5، 2006.
- أحمد محمود هويدي، الاستشراق الألماني تاريخه وواقعه، وتوجهاته المستقبلية، تر: محمود فهمي حجازي، القاهرة، ط1، 2000.
- يحيى مراد، أسماء المستشرقين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
- يوهان فك، تاريخ حركة الاستشراق الدراسات العربية والإسلامية في أوربا حتى بداية القرن العشرين، نقله عن الألمانية: عمر لطفي العالم.

المجلات والدوريات:

- رضوان السيد، المستشرقون الألمان، مجلة الفكر العربي، العدد 31.

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021

- شتيح بن يوسف، جهود المستشرقين في تحقيق المخطوطات العربية –المستشرقون الألمان أنموذجا–، مجلة التراث، جامعة زيان عاشور، الجلفة، ع7، 2013.
- صابرين مهدي أبو الريش، المعجم التاريخي ودوره في الحفاظ على الهوية وإحياء الماضي وإثراء الحاضر والمستقبل، حولية كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، الإسكندرية، ع32.
- عبد القادر المغربي، معجم فيشر وصفه ونقده، مجلة المجمع العلمي العربيّ، القاهرة، مج 24، ج 4.

المواقع الإلكترونية:

- http://www.uobabylon.edu.iq
- https://www.voiceofarabic.net/ar/articles/2355
- https://www.hafryat.com/ar/blog
- http://www.arabicmagazine.com
- http://www.arabicmagazine.com/arabic/articleDetails.aspx?Id=4165

©جميع الحقوق محفوظة،عمادة البحث العلمي/ جامعة الزيتونة الاردنية 2021